

الرصيف في الجزائر: دلالاته ووظائفه

The sidewalk in Algeria: connotations and functions

سوالمية نورية*، جامعة معسكر، n.soualmia@univ-mascara.dz

تاريخ الاستلام: 2021/09/15 تاريخ القبول: 2021/11/29 تاريخ النشر: 2021/12/31

ملخص:

يسعى هذا المقال للتعرف على الدلالات الاجتماعية للرصيف باعتباره فضاء هندسي، بالوقوف على مفهوم الرصيف في أبعاده المتعددة وبالاعتماد على مقارنة المثلث المفاهيمي، وأيضاً البحث في إشكالية الرصيف كفضاء اجتماعي يحمل دلالات ومعاني متعددة، وبالموازاة ركزنا اهتمامنا أيضاً على الوظائف الاستعمالية والجمالية والنفعية للرصيف، دون إهمال وظيفته في خلق الروابط الاجتماعية بين الأفراد. وخلصنا إلى مجموعة من النتائج أهمها أن الرصيف ليس فضاء جامداً، بل يحمل الكثير من المعاني والدلالات تظهر في تموضع أشيائه واستخدامات ألوانه، ويرمز لثقافة وهوية المجتمع، وأيضاً لحاجات وتطلعات أفراد. وكيف أن الرصيف بدأ يفقد في مجتمعنا خصوصيته كفضاء عمومي ووظيفته واستعمالاته كمجال عام وملك للجميع.

الكلمات المفتاحية: الرصيف، الفضاء الاجتماعي، الفضاء العمومي، الدلالات، الوظائف.

تصنيف JEL : XN1، XN2.

Abstract:

This article draws on the social implications of the sidewalk space, building on the concept of the sidewalk in its multiple dimensions and based on the conceptual approach of the triangle, and also investigating the problem of the sidewalk as a social space carrying multiple connotations and performing various functions. Without neglecting its function of creating a social link between individuals.

We have concluded a set of results, the most important of which is that the sidewalk is not a static space, but rather carries many meanings and connotations that appear in the positioning of its things and the use of its colors, and it symbolizes the culture and identity of society, as well as the needs and aspirations of individuals. The sidewalk in our society has started to lose its concept of public space, its function and uses of public space belonging to all.

Keywords: sidewalk; social space; public space; connotations ; functions.

Jel Classification Codes: XN1, XN2.

1. مقدمة:

يعتبر الرصيف أحد الفضاءات الاجتماعية الهامة التي تحويه المدينة، وركن من أركان تصميماتها الأساسية، وهو عنصر مهم مكمل للطرق والشوارع بالمدينة.

ومن الثابت والمعروف أن المدن تختلف فيما بينها من حيث مكوناتها ووظائفها؛ إذ تتمتع كل منها بشخصيتها لجذورها التاريخية وتطورها الاقتصادي والاجتماعي والعمراني، تختلف الأرصفة أيضا في خصوصيتها ودلالاتها ووظائفها.

إنّ الرصيف يعد ممر للراجلين من أجل تسهيل تنقلهم في المدينة، وهو فاصل ما بين الأبنية والشوارع، يقوم بوظائف متعددة تتعدى دوره الاستعمالي، فكل ما يحمله من أشياء وعناصر ومكونات تحمل دلالات ومعاني متعددة.

وإنّ البحث في دلالات الرصيف باعتباره هندسة تبلور مختلف تمثلات وتصورات الأفراد تحيلنا إلى تجاوز ظاهر الظاهرة المادي والفيزيقي إلى البحث في الدلالات الثقافية والاجتماعية للرصيف ومعنى لمكوناته باعتبارها مرتبطة بالثقافة والذاكرة الجماعية، ولها أثر في الحياة اليومية والمدينية.

نحاول من خلال هذا المقال تجاوز النظرية السطحية لمحتويات الرصيف المادية للوقوف على دلالاته الاجتماعية بكل ما يحمله من خصوصية ثقافية، الذي يعد وسيلة تعبيرية تحمل جملة من الرموز الدلالية. فكل ما يحمله الرصيف من مفردات تنطوي على دلالات معينة نحاول استنطاقها.

فما هو مفهوم الرصيف؟ وما هي قيمته الاجتماعية؟

ما هي الدلالات الاجتماعية للرصيف؟ وفيما تكمن وظائفه؟

هل ما زال الرصيف في مجتمعا يحتفظ بخصوصيته وأدواره؟

نحاول الإجابة عن الأسئلة المطروحة في مقاربة نظرية لفهم واقع الرصيف بمجتمعنا من خلال النقاط التالية:

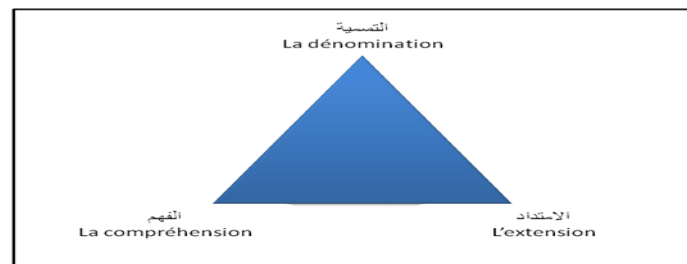
- المقاربة المفاهيمية للرصيف
- الرصيف فضاء اجتماعي دال
- الوظائف الاجتماعية للرصيف

2. المقاربة المفاهيمية للرصيف

استخدمنا لتحديد مفهوم الرصيف مقاربة المثلث المفاهيمي Le triangle conceptuel الذي يعتمد على ثلاث مراحل

منهجية متكاملة لتحديد المفاهيم كما يوضح الشكل الموالي:

الشكل رقم 01: المثلث المفاهيمي



المصدر: (Dumez , 2011 , P 67)

1.2 التسمية:

هذه المرحلة تعتمد على طرح المفهوم من خلال الأدبيات اللغوية، بالاعتماد على القواميس والمعاجم اللغوية لإعطاء المصطلح وضعاً مفاهيمياً.

والرصيف "كلمة مفرد، والجمع أرصفة ورصيف ورصيفان: هو مكان مرتفع قليلاً على جانبي الطريق للمشاة - بائع على الرصيف - يسير بجذاء الرصيف - رصيف وسطي: رصيف مزروع بالأشجار يفصل شارعين متعاكسين في طريق سريع (أحمد مختار عمر، 2008، ص900)

ويعرف الرصيف أيضاً لغة على أنه "جنب الطريق المخصص للمارة" (جبران مسعود، 1992، ص320)، وهو "بقعة من الأرض مبلطة بصفائح الحجارة والمفروشة بالصخور" (بطرس البستاني، 1998، ص337) ومنه، الرصيف هو الجزء الذي يرتفع قليلاً عن مستوى الطريق يكون مخصصاً للراجلين (المشاة - المارة).

2.2 الفهم:

تقتضي الضرورة المنهجية وضع المفهوم في إطار محدد (مجال التخصص) وهذا ما يسمى بالتعريف الاصطلاحي. لقد عرف الرصيف من الناحية القانونية التخطيطية على أنه "مساحات محددة ومخصصة لمرور السابلة (المشاة) والتي تكون عادة مفصولة عن (الشارع) المخصص لسير العجلات وذلك برفع الرصيف من خلال وضع حواجز تفاديا للحوادث (...) وهو المنطقة المحصورة بين حد الشارع وحد البناء المحاذي له طبقاً للرسومات المعتمدة من البلدية، والمخصصة لسير المشاة وتمديد خطوط الخدمات وأعمال التجميل وعمل التوسعات المستقبلية وفواصل الطريق والجزر الوسطية بين اتجاهي الطريق" (زينة غانم العبيدي ونكتل صالح حسين، 2021، ص230)

وعليه تعتبر أرصفة الراجلين "جزءاً مكملًا لتصميم الشوارع في المدن، ولكن يقل تواجدتها في المناطق الحضرية الهامشية من المدينة، ويجب ألا يقل عرض الرصيف عن 1,5 متر ويستخدم في إنشاء مواد متعددة ومختلفة لإعطاء سطحا مستويا وسليما. ويجب أن يكون سطح الرصيف الذي يسير عليه الراجلين مساويا في الجودة أو أحسن حالة من سطح قارعة الطريق المخصصة للمركبات، لجذب الراجلين للسير عليه، وعندما يكون الرصيف قريبا من حافة الجزء المرصوف لمرور المركبات، يجب حمايته بحواف حاجزة وعند عدم استعمال الحواف يجب أن تكون الأرصفة بعيدة عن حافة القارعة المخصصة للمركبات بثلاثة أمتار على الأقل (وزارة النقل، 2008، ص14) إن أرصفة المشاة الجزء المكمل للطريق المخصص لمرور المشاة، وذلك بهدف فصل حركة المشاة عن حركة المركبات، وبذلك تعد ملجأ آمنا للمشاة. ورغم أن الغرض الأساسي من أرصفة المشاة توفير بيئة آمنة تجنب المشاة خطر التعرض للحركة المرورية إلا أنه قد يستخدم لأغراض أخرى (الإدارة العامة للتنظيم والتخطيط العمراني، 2013، ص5)

ويوصي دليل تخطيط الطرق والمواصلات في المناطق الحضرية بأن يوفر حد أدنى فعال لعرض الرصيف ألا يقل عن 1,2 متر بدون عوائق، مثل الأحواض تنشأ في الرصيف لزراعة الأشجار، وفي الشوارع المحلية في المناطق السكنية، يوصي بأن يكون عرض الرصيف 1,2 - 2,5 متر، بينما في الشوارع التجميعية والشرائية وفي شوارع المناطق التجارية، يوصي بأن يكون الحد الأدنى لعرض الرصيف هو 2,0 -

4,0 متر، مع أن العرض قد يكون أكثر من ذلك، وذلك حسب تدفقات حركة المشاة (الإدارة العامة للتنظيم والتخطيط العمراني، 2013، ص 39)

إن الرصيف فضاء عمومي مخصص لمرور المشاة ويكون مفصولا عن الطريق المخصص لسير المركبات تفاديا للحوادث وذلك إما برفعها عن الطريق وإما بوضع حواجز تمنع اقتحام المركبات هذه المنطقة.

ومن هذا المنطلق اعتمدنا في دراستنا السوسولوجية لتعريف الرصيف على العناصر تأسيسية لمبادئ الفضاء العمومي التي طرحها محمد ناشي: (Nachi, 2013, P. 27) والتي لخصناها فيما يلي:

• فضاء فيزيقي، بوصفه مكان حقيقي réel (جغرافي، حضري...) أين يتجلى ضمنه "العمومي"، وتجتمع داخله الجماعات، الأفراد، وكذلك الأشياء وأشباه الأشياء (كائنات هجينة des êtres hybrides على حسب تعبير برينو لاتور (Bruno Latour)

• فضاء رمزي أين تتجلى داخله المواقف والآراء والقناعات التي تساهم في وضع الأسس للفعل أو الالتزام والتأسيس للعبة السياسية.

- فضاء للكلام أو الخطاب، بمعنى مكان للتبادلات، التفاعلات، النقاشات، الاحتجاجات، والنقد.
- "جمهور" متمثل في جمع من الأفراد المتفاعلين فيما بينهم، يعرضون أفعالا وأشكالا من الالتزام الجماعي.
- خطابات تمثل تعبيرا عن حالات التفاعلات، عن النقاشات والانتقادات وعن الآراء المتبادلة.
- سيرورات ممارسات الأفعال، المطالب، التنظيمات والقرارات.
- الرؤية والإعلان بصفتها توضيحا لطريقة التجلي في الفضاء العمومي.
- دينامية للمشاركة تشتغل تبعا لنمط الاندماج/ الاقصاء (النساء، الأقليات، المهاجرون...) أي وفق علاقات القوة والسلطة.
- تفاضل وتنافس بين الفاعلين يفترض هرمية وتقسима للأدوار والمهام والنشاطات.
- تخيال اجتماعي (بتعبير كاستورياديس (Castoriadis) يمثل أساس السيرورة الإبداعية للتجلي في الفضاء العمومي وأساس بناء العالم المشترك ونمط المشاركة الجماعية.

ومنه يحمل الرصيف باعتباره فضاء عمومي عدة معاني، فهو فضاء مادي فيزيقي يشمل الأماكن ذات الاستعمال المشترك، وهو أيضا فضاء رمزي لأنه مجال للتبادل الحوار والآراء والمنافسات وغيرها.

وتنقسم مستويات قراءة الرصيف إلى ثلاث أقسام تتمثل في "المستوى الحقيقي، المستوى التخيلي، والرمزي" (Tortel, 1999, p 10):

- المستوى الحقيقي: المبين من خلال الخصائص الفيزيائية والمادية للشيء أو المحيط، وما يتضمنه من حقائق موضوعية أو منطقية، يفسر عادة وظيفيا ومحددا حسب حاجيات المستعمل لهذا الفضاء من أمن وراحة وغيرها
- مستوى التخيل: نقصد به في طرحنا التخيل الاجتماعي البعيد عن ما هو مادي فيزيقي والمرتبط بالبعد الإبداعي وتجريد الواقع عن طريق تجاهل قوانين الواقع، فكل شيء مباح.
- المستوى الرمزي: يحيل إلى المعاني الخفية والضمنية والتمثلات، والقيمة الرمزية التي يحملها الرصيف.

3.2 الامتداد

يقصد به التحديد الإجرائي للمفهوم، ويعرف التعريف الإجرائي في علم الاجتماع على أنه "التعبير عن مفهوم معين بطريقة تبين كيفية قياسه" (بلقاسم سلاطنية وحسان الجيلاني، 2004، ص 126) إنَّ تحديد امتداد المفهوم هو بمثابة ربط بين الجانب النظري للبحث وجانبه التطبيقي؛ إذ تعتبر عملية أجراً المفهوم خطوة هامة في الدراسات السوسيولوجيا.

وعلى محك كل ما سبق، يعتبر الرصيف فضاء عمومي مرتفع قليلاً في شكله على طول الطريق، يصنع من بلاط خاص بالأرصفة وتوجد به معايير لكل فئات أفراد المجتمع وهو مخصص للمشاة على الأقدام، فهو وحدة هندسية واجتماعية أساسية في عمران المدينة، يحمل الكثير من الأشياء ذات أبعاد ودلالات اجتماعية.

3. الرصيف فضاء اجتماعي دال

يشير مفهوم الدلالة إلى دال ومدلول يختلفان باختلاف السياق الاجتماعي، فلا يمكن أن يدرس الرصيف باعتباره فضاء اجتماعي معزل عن البنية الاجتماعية، فقد نفى كاستل M. Castells "وجود نظرية للفضاء دون أن تكون هذه الأخيرة جزءاً مندمجاً ضمن نظرية اجتماعية شاملة" (CASTELLS, 1981, P. 475)، بمعنى لا يمكن النظر إلى الفضاء على أنه إنتاج مادي معزل عن العناصر الاجتماعية والمعنوية التي تدخل في تكوينه، كما أن الفضاء لا يوجد "إلا بما يحويه (...)" فهو بناء منظم بما يتضمنه من: أحداث، وأشخاص، وأفعال، واتصالات، وتعارف، وأشياء... (MOLES- ROHMER, 1998, P. 17)، فكل هذه مجتمعة تشكل لنا الفضاء. ومنه الرصيف هو ظاهرة اجتماعية كلية تضم مختلف العناصر، والعلاقات، البيئة، وضعية الكائنات وحريتهم، ممارساتهم اليومية وعاداتهم وغيرها، وفي هذا الإطار يقول حجيج: "دراسة الفضاء معناه إبراز التفاعلات القائمة بين الفضاء والمجتمع. وفي المرحلة الأولى يجب فهم العمليات التي تحدث أو التي حدثت حتى يتم بموجبها انجاز الفضاء، ثم في مرحلة ثانية يجب ملاحظة وتسجيل آثار هذا الفضاء على المجتمع ككل" (HADJIDJ, 2006, P.238) بمعنى أنه لا يمكن التقرب وفهم الرصيف كظاهرة اجتماعية إلا بالرجوع المباشر إلى الظواهر الاجتماعية الأخرى.

إذن الرصيف هو إنتاج جماعي وجزء من الحياة الاجتماعية وهو يتجلى "كنموذج إبراز أو تعبير عن المجتمع (...)" والعلاقة بالفضاء تحافظ على خصوصية الهويات" (BONTE- IZARD, 1991, P. 235)، مما يظهر أهمية ودور الممارسات الاجتماعية داخله، وإن دراسة الفضاء الاجتماعي "الذي يحمل علاقة الإنتاج وإعادة الإنتاج الاجتماعي سواء تعلق الأمر في ذلك بالجوانب البيوفيزيولوجية التي تنظم علاقة الجنسين (...)" أو علاقات الإنتاج وإعادة الإنتاج المتعلقة بتقسيمات العمل وتنظيماته فهو إذن ذو وظائف اجتماعية مترتبة" (LEFEBVRE, 2000, P 41)

فما يحمله الرصيف من عناصر وعلاقات ووضعيات وممارسات تشرح هذه العلاقات ووظائفها، ويعبر هذا الفضاء على كل ما يخص الحياة اليومية ويرتبط معها.

إنَّ الرصيف ليس مجرد طريق نمشي عليه فحسب، بل يحتوي على ممارسات اجتماعية بما يحويه من العلامات الإرشادية واللافتات الإشهارية وهندسة معمارية فيكون بهذا فضاء ذو دلالات يلخص التاريخ. ويمكن القول أن التباين بين أرصفة المدن وطرق استعمالها

يجعل الرصيف عنوانا للمدينة، واستخداماته تعكس طبيعة أهلها. وإن أرصفة المدن مثلها مثل ساحاتها العمومية، شاهدة على تاريخ المدينة وحاضنة لأهم الأحداث التي عرفتها. وغالبا ما يكون مآل الرصيف ترجمة للوضع في هذه المدينة أو تلك. ومن هنا يكتسي الرصيف أهمية كبرى في المدينة وفي التعبير عن هويتها وحفظ ذاكرتها، له دلالات عميقة ثقافيا فهو يترجم ما يموج به الشارع المحلي (...). وأصل الأرصفة أنها كانت طريقة لرسم الحدود في المدن القديمة بين الطرق والمباني، لكن مع تطور المدن وتزايد الحاجة إلى ممرات جديدة بدأ يتبلور الدور الوظيفي للرصيف. (أرصفة-المدن/ <https://qafilah.com/ar/>)

"لقد وجد الرصيف في الحضارات القديمة، إذ كان الجزء الذي يرتفع قليلا عن مستوى الطريق من على جانبيها، ويخرج إليه الناس من بيوتهم أو من الأماكن العامة... كان الرصيف عتبة ضيقة ممتدة على جانب الطريق، وظيفته الأساسية حماية المباني والمنازل على جانبي الطريق من مياه المطر. وجد هذا في طريق الأعمدة الممتدة إلى المعبد الرئيس في العمارة الفرعونية، وحول المعابد والمباني العامة أحيانا في ساحات المدن الإغريقية والرومانية.

وأنشأ الرصيف في روما القديمة كحاجز أو مساحة فاصلة تفصل الطريق عن الساحات والمباني، لكن ما لبث الرصيف أن أصبح الجزء المفضل لدى المشاة الذين وجدوه آمنا بعيدا من مسار العربات التي تجرها الخيول، وتطورت هذه المساحة في مرحلة لاحقة، فأصبحت مكانا يتجمع فيه الناس من أجل مشاهدة الاستعراضات التي تنظم بشكل دوري، وكانت هذه الأرصفة تبلط في الغالب بالحجارة التي ما زالت تستعمل في كثير من الأحياء الأوروبية إلى يومنا هذا.

وتطور الرصيف فعرض فيه التجار والباعة بضائعهم، واكتظ بالناس والأشياء، وامتدت الطرق من الساحة الرئيسة إلى اتجاهات متشعبة وامتد معها الرصيف.

وفي عصر النهضة في أوروبا تسابق البناءون في تشكيل الواجهات بالطرز الإغريقية والرومانية، وازداد الرصيف أهمية، وصار ركنا أساسيا في التكوين العمراني للمدينة، وزينت التماثيل ونوافير المياه الساحات المركزية التي تلتقي فيها الطرق، وغادرها الباعة مع بضاعتهم إلى محلات داخل المباني تفتح على الرصيف الرواق أو تحتل جزءا منه.

أما في مصر وبلاد الشرق العربي وخلال حكم الفاطميين وعهد المماليك حافظت الساحة المركزية على جزء كبير من أهميتها، في حين صارت الطرق المتشعبة عن الساحة تضيق وتتعرج، تفتح على أحواش السكن من جانبيها وكانت هذه الأحواش تنمو أحيانا لتصبح حارة مستقلة في مجتمعها إلى حد كبير، وأصبح الطريق تتفرع منه شبكة من الأزقة الضيقة المسقوفة في الغالب، والمرصوفة بالحجر حيث اختفى معها الرصيف. نجد هذا واضحا في الحارات القديمة حول قلعة حلب، وتلك التي تزخر بها مدن المشرق والمغرب العربي القديمة مثل القدس ودمشق وفاس. (أنظر المراجعين: /الرصيف/ <https://qafilah.com/ar/>؛

<https://www.independentarabia.com/node/137001/> تحقيقات-ومطولات/الأرصفة-مرايا-المدن).

وفي عصرنا الحالي تخفي الأرصفة تحتها شبكة من البنى التحتية، وشبكات الخدمات العامة التي تخدم المباني والأحياء، فتمتد تحت الرصيف شبكات المياه والكهرباء والغاز، إلى جانب شبكة الصرف الصحي وقنوات صرف مياه الأمطار، وهي تعتبر شبكات معقدة تمتد تحت الأرصفة على أعماق مختلفة. ويحتوي الرصيف فوقه على أعمدة الإنارة وإشارات المرور والأعمدة التي تحمل لافتات إرشادية أو إعلانية مختلفة، وقد نجد على الرصيف مقاعد ثابتة من الحجر أو الخشب أو الأسمنت، كما تنتشر الأكشاك المختلفة ومظلات خفيفة لانتظار وسائل النقل العام، وفي أحيان أخرى نجد أحواضا للزهور والأشجار... ونظرا لما يتميز به الرصيف بما تحته من شبكات الخدمة العامة وما

استحدث فوقه من عناصر جديدة، أصبح هو الشريان الرئيسي المهيكّل للبنية العمرانية لمدينة العالم. (<https://qafilah.com/ar/الرصيف/>).

ويتم عند تشييد الرصيف بناء رسائل وأفكار وخطابات دلالية رمزية، يدرك كمخزن ثقافي واجتماعي خاص بمجتمع معين الذي ينفرد بممارساته الاجتماعية والثقافية والدينية وحتى تاريخيا، وهذه الأرصفة تتكيف أيضا مع شروط الحياة اليومية للأفراد. إذ يعتبر الرصيف نتاج مجموعة من الظواهر الطبيعية والبشرية يتأثر بمسئوليه ويؤثر بدوره فيهم بسبب سعيه إلى تكيف حياتهم ومتطلبات وجودهم به فتولد لديهم الممارسات والتصورات التي "تشكل هوياتهم الفردية واجتماعية" (RAULIN, 2001, P. 150) و"لا تخلو أي بيئة عمرانية من أن تحوي خصائص عمرانية مميزة تعبر عن تراث معين" (وسام حسن هاشم، 2019، ص 728). وعليه تتوضح نظرنا للرصيف باعتباره:

✓ فضاء فيزيقي: يمثل الخصائص الفيزيكية، أي مجموع التكوينات التي يمكن إدراكها مباشرة كاللون، والبناء والملمس، وهي تمثل حالة ترجمة المواد المستعملة وتنظيمها في كيان له حيز من الوجود ويدرك بوساطة الحس الإنساني.

✓ فضاء دال: يتمثل في خصائص التعبير المرئية للرصيف.

ومنه جاء البحث في الوظائف التي يؤديها الرصيف سواء الظاهرة أو الكامنة.

4. الوظائف الاجتماعية للرصيف

تعدد الوظائف الاجتماعية للرصيف، التي يمكن إجمالها في: الوظيفة الاستعمالية، والجمالية، والنفعية، دون إهمال دور الرصيف في خلق روابط اجتماعية:

1.4 الوظيفة الاستعمالية

تعتمد الوظيفة الاستعمالية على معارف تقنية، فلقد اهتم المخططون والمعماريون والهندسيون بوضع وتطوير المواصفات الهندسية للأرصفة وجعلها فضاء آمنا للراجلين والمشاة من خلال جملة من المقاييس، حتى يتمكن الراجلون من الاستعمال الأمثل للرصيف والحصول على حاجياتهم والتنقل عليه بكل أريحية، لذا لا بد أن يتوفر الرصيف على العديد من العناصر الأساسية التي تندرج ضمن ما يعرف بمكونات الرصيف، والمتمثلة فيما يلي: (وزارة الشؤون البلدية القروية، 2005، ص1)

- ممرات المشاة الجانبية (الأرصفة)
- أماكن عبور الطرق
- البردورات الجانبية (الحواف)
- منحدرات البردورات (الحواف)
- مواقف السيارات
- مواقف انتظار حافلات النقل العام وسيارات الأجرة
- إشارات المرور واللوحات الإرشادية والإعلانية والدعائية

- متطلبات حركة ذوي الاحتياجات الخاصة

- أحواض الأشجار والأزهار والنباتات

بالإضافة إلى أعمدة الإنارة العمومية

هذه العناصر المكونة للرصيف تعتمد على معايير هندسية وتقنية حتى يسهل استعمال الرصيف للدور الذي أنشأ لأجله، ألا وهو مرور الراجلين لتعزيز أمنهم وسلامتهم وتنظيم حركة السير، والوصل بين شارع وآخر بعيدا عن السيارات والمركبات التي يمكن أن تشكل خطرا على الراجلين.

لهذا يتميز الرصيف بتصميم هندسي بسيط وغير معقد ليسهل المشي عليه، وبشكل جميل يتناسب مع المنظر العام للشارع المتواجد فيه، فهو مرآة المدينة كما سبق الذكر فلا يتعارض مع محتواها.

كما أن الاهتمام بنوعية التبليط (الأرضية، سطح الرصيف) والإضاءة والتشجير ووضع مقاعد تسهل الوظيفة الاستعمالية للرصيف، فالمقعد الموجود في مكانه المناسب بالرصيف يوفر للراجلين "استراحة من الحركة وفرصة للاستقرار داخل ذواتهم واستيعاب حياة المدينة، والأشجار المغروسة بين الرصيف والشارع تلطف من قسوة السطوح الإسمنتية و الزجاجية، بل إنها قد تسمح لنا بالاستمتاع بالتناقض الكامن بين الطبيعة والحضارة (سايدمان، 2009، ص44)

ومنه يركز الرصيف من أجل استعماله الأمثل والأمن إلى عناصر ومكونات متعددة تحترم فيها المقاييس الهندسية والتخطيطية المثلى، وأيضا الاهتمام بالجانب الفني الجمالي.

2.4 الوظيفة الجمالية

يعتمد الرصيف في تشييده على الجانب الجمالي الذي يعد إبداعا فنيا، وتتم الوظيفة الجمالية للرصيف من خلاله التوافق بين الصورة البصرية والصورة الذهنية التي يحملها المجتمع.

ونركز في البداية على الألوان ودلالاتها، إذ أن "التصميم بلا ألوان كالحياة بلا هواء، فهي تضيء على الأشياء من حولنا الحياة والحيوية وتعطيها معاني مختلفة حسب فهمنا لها (...). ويلعب اللون دورا هاما في التأثير السيكولوجي على الإنسان من حيث الشعور والسعادة والحزن، والشعور بالحرارة والبرودة، فاللون الأحمر يجعلنا نحس بالدفيء والحرارة أما اللون الأزرق يشعرونا بالبرودة... وغيرها من التأثيرات (الفران، 2010، ص ص 73-74)

ومن الضروري أن تنسجم الألوان التي يتضمنها الرصيف بمكوناته حتى تعطي الإحساس بالراحة النفسية وبالتالي المظهر الجمالي المميز للفضاء العمراني، وإضفاء الجانب الجمالي للمدينة.

كما يمكن للألوان أن تتضاد حتى تعطي الاهتمام البصري وجلب الاهتمام لبعض العناصر المهمة المكونة للرصيف.

وتعتبر وحدات الإضاءة أيضا من العناصر التشكيلية الجمالية للرصيف وخاصة بالليل، فإلى جانب دورها الاستعمالي في إضاءة الرصيف وتسهيل الحركة بالشارع، فهي تضيء على الفضاء "جمالية خاصة وتشكيلا فنيا مميزا، حيث تتم دراسة التشكيل اللوني للإضاءة بشكل مستقل، وفي كثير من الأحيان يعمل المصمم على رسم لوحة جمالية باستخدامه تقنياتها وأنواعها وأشكالها المختلفة (...). يعمل التشكيل الجمالي لوحدة الإضاءة على تكامل وتناسق تصميم الفضاء العمراني (الفران، 2010، ص 78)

وتهدف المساحات الخضراء والأشجار والأزهار للتقليل من تلوث الهواء والمساهمة في توفير هواء نقي وصحي، وبالطبع الدور الجمالي لها من خلال التباين والتناغم بين ألوانها المختلفة وانسجامها مع المباني والكتل المعمارية وعناصر أثاث الشوارع المختلفة من حولها. فالأشجار تكون بالعادة على جوانب الشوارع، أما المساحات الخضراء بما تتضمنه من زهور ونباتات مختلفة فتكون بالعادة ضمن أحواض جمالية ذات أشكال مختلفة (الفران، 2010، ص 81).

وتلعب النصب التذكارية واللوحات الجدارية دورا هاما في جمالية الشارع والمدينة بشكل عام، بالإضافة إلى الدور التعبيري في بعدها الثقافي يتمثل في توثيق الأحداث التاريخية والوطنية للمنطقة. ترتبط بما تثيره الرموز والإيحاءات والدلالات من إحساس لدى الأفراد، الذي يحيل إلى المعنى الضمني (الاجتماعي، الثقافي).

فلا تتعارض كل تلك المكونات مع الموروث الثقافي والاجتماعي ولا تخالف الأذواق والآداب العامة للمجتمع، يتم من خلال تناسق الصورة البصرية مع التصميم لعناصر التنسيق مع الطابع العام للمكان الذي لا يتعارض مع ثقافة ذلك المجتمع.

3.4 الوظيفة النفسية:

تتعدد الوظائف النفسية للرصيف، الذي أصبح في مجتمعنا سوق لعرض البضائع، ومقهى وموقف لركن السيارات ... ولم نعد نفرق بين الرصيف والشارع لاستعمالاته الهجينة من طرف الأفراد والجماعات؛ وأصبح الرصيف لا يقوم بالأدوار المنوطة له باعتباره معبر للراجلين.

ومن خلال الدراسة الميدانية التي قام بها كل من بوظيفة حمو والأحسن حمزة حددا مجموعة من العوامل التي تعيق استعمال الرصيف من بينها العوامل الاجتماعية والثقافية كما يوضح الجدول الموالي:

الجدول رقم 01: العوامل الاجتماعية والثقافية المعيقة للوظيفة الاستعمالية للرصيف

متوسط الرتب	χ^2	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	عدم استعمال الرصيف يرجع إلى:
55,18	143,745	1,21	4,0	1. احتلال المقاهي للرصيف
54,72	119,600	1,12	4,0	2. وجود تجمعات شبابية على الرصيف
54,13	101,000	1,10	3,9	3. استلقاء التسولين على الرصيف
52,40	105,300	1,17	3,9	4. عرض سلع المحلات على الرصيف
52,36	87,101	1,18	3,8	5. وجود الأكشاك غير المرخصة لها (بيع السجائر)
50,80	98,150	1,21	3,9	6. عدم احترام الوقت المحدد لرمي القمامات
50,13	64,492	1,23	3,7	7. انتشار الباعة المتجولين على الرصيف
49,72	84,800	1,04	3,8	8. وضع القمامات على الرصيف
49,58	74,450	1,26	3,8	9. ركن السيارات على الرصيف
48,07	59,350	1,37	3,6	10. اختصار الطريق وريش الوقت
47,75	70,020	1,37	3,7	11. عدم إدراك خطر المشي على الطريق
47,54	131,350	0,93	3,7	12. عدم تنظيف أصحاب المحلات للرصيف
46,94	57,673	1,29	3,7	13. نقص التربية والثقافة المرورية
46,72	119,150	1,06	3,7	14. اللامبالاة
46,50	103,650	1,10	3,6	15. نقص التحضر
46,32	72,250	1,47	3,6	16. نوع من المخاطرة
45,93	45,850	1,38	3,6	17. غياب ثقافة استعمال الرصيف
45,66	42,200	1,19	3,6	18. وجود رواثح كريهة (البول، العائط، جثث حيوانات)
44,49	46,400	1,19	3,5	19. تفادي المياه المتساقطة من نضير العسيل، أو التنظيف
44,90	43,150	1,46	3,5	20. ظاهرة من مظاهر التخلي
43,43	16,731	1,44	3,3	21. نقص التمدن
43,43	29,650	1,26	3,5	22. نقص المسؤولية الاجتماعية
42,94	34,900	1,28	3,4	23. تفادي المرور أمام المحلات وتجنباً لمرتادها
41,34	17,800	1,45	3,2	24. تغلب الطابع الريفي على سلوك أفراد المجتمع
41,28	29,216	1,21	3,4	25. رمي القمامات من النوافذ والغرفات
40,22	19,668	1,36	3,3	26. التعود على المشي وسط الطريق
40,30	10,900	1,39	3,3	27. عدم فهم معنى الطريق
40,30	18,550	1,27	3,3	28. لعب الأطفال على الرصيف
39,78	72,750	1,24	3,2	29. محاولة إثبات الذات
38,69	31,848	1,21	3,3	30. غسل السيارات على الرصيف
38,62	210,250	0,83	3,3	31. وجود أسواق شعبية بالرصيف
37,86	36,450	1,19	3,2	32. تحويل الرصيف إلى ورشات مكشوفة لتصليح السيارات
37,52	9,450	1,31	3,1	33. المشي وسط الطريق للتعيم عن نوع من التمرد
37,47	43,550	1,17	3,2	34. التمرد على أصحاب المركبات
37,41	12,200	1,31	3,2	35. تفادي الماء الناتج عن المكيفات
35,85	8,950	1,43	3,0	36. سيم السيارات على الرصيف
35,82	49,050	1,22	3,1	37. عدم ملازمة الرصيف لأحدية الكعب العالي
35,82	6,101	1,50	2,9	38. حب الظهور
35,39	8,919	1,33	3,0	39. محاولة إثبات حق في الطريق
34,64	62,400	1,15	3,0	40. لعب الورق والدومينو على الرصيف
33,71	13,850	1,27	3,0	41. محاولة إثارة التفرقة لدى أصحاب المركبات

المصدر: (بوظيفة والأحسن، 2012، ص 135)

من خلال الجدول السابق تبين أن هناك عوامل اجتماعية وثقافية عديدة أدت إلى عدم استعمال الأرصفة من طرف المارة الذين يضطرون في الكثير من الأحيان إلى المشي في الطرق المخصصة للمركبات.

فلقد أثرت الوظيفة التجارية بشكل كبير على الرصيف، وأصبحت تشكل مصدر إزعاج كبير للسكان، فالصورتين رقم 01 و 02 تبين تعدي التجار على الرصيف، فأصبحت السلع والأثاث تشكل حاجزا يمنع مرور الراجلين.



الصورة رقم 02: الرصيف امتداد للمقهى

المصدر: <https://awalbiawal.net/wp-content/uploads/2021/02/1-2.jpg>



الصورة رقم 01: الرصيف امتداد للمحل التجاري

المصدر: https://www.ennaharonline.com/wp-content/uploads/2021/07/BIL_3439-alimentation.jpg

وعلاوة على ذلك تحول الرصيف أيضا إلى موقف للسيارات (أنظر الصورتين رقم 03 و 04) يؤدي إلى التعدي على الرصيف و منه على حق الراجلين في التنقل براحة وسلام.



الصورة رقم 04



الصورة رقم 03

الرصيف موقف للسيارات

المصدر: <https://www.echoroukonline.com/>
انتشار-ظاهرة-اعتداء-السيارات-على-الأر-2

المصدر: <https://www.facebook.com/Bordj.Okh/riss.10/posts/2060863497289270>

كما أصبح الاستيلاء على المساحات الصغيرة المجاورة لبعض المنازل أمرا عاديا لبعض السكان، فكما يظهر في الصورة رقم 05 استغلال المساحة المحاذية للسكن بتشجيرها وتسييجها من طرف صاحب المسكن، بالفعل زراعة هذه المساحات بالنباتات أو بالأشجار المظلة أمرا جيدا ومهمما، لكن غلقها كليا وجعلها خاصة هذا أمر سلبى جدا.



الصورة رقم 05: احتلال الرصيف من قبل السكان

المصدر: <https://almadapaper.net/view.php?cat=140109>

وبالموازاة لا تعوزنا التفاصيل عن استكمال الإطار الحقيقي للرصيف، فهو في الواقع: إطار مادي ووحدة حياة اجتماعية وتجهيد لأشياء مادية وروابط من العلاقات الاجتماعية بين الأفراد.

4.4 الرصيف والرباط الاجتماعي

إنّ الرصيف فضاء للروابط الاجتماعية ومجال للمعايشة الاجتماعية، يتيح للفرد تطوير شبكة علاقاته الاجتماعية من خلال الاحتكاك والتفاعل والالتقاء مع الآخرين، وتأخذ المعايشة الاجتماعية عدة أشكال في الحياة اليومية: الالتقاء المباشر، تبادل النظرات، تبادل التحية، استراق النظر، طلب العفو، طلب معلومات أو مساعدة... وهذه السلوكات البسيطة تؤدي إلى خلق حوار ونقاش وتبادل الحديث بين الأفراد، ولذلك يمكن اعتبارها نقطة بداية لعلاقة اجتماعية جديدة؛ ولكن لا يجب النظر إلى هذه الأشكال من المعايشة منفردة، أي كل واحدة مستقلة عن الأخرى، بل يجب النظر إليها في سياق عام لكي نتمكن من اكتشاف النسيج الاجتماعي المعتر الذي تشكله، وبالرغم من أنها تبدو سطحية، مؤقتة، ظرفية وعابرة، إلا أنها مصدر مهم لخلق علاقات التضامن و أشكال المشاركة الاجتماعية. يتخذ الأفراد ضمن هذا الفضاء سلوكات معينة حسب الوضعية التي يتواجدون فيها، فيتفاعلون ويتبادلون المواقف والآراء والانشغالات. فالشارع بشكل عام "فضاء استراتيجي للألفة الاجتماعية (sociabilité)" (Dovier- Gervais, 2007, P. 65)، وذكر نوربات إلياس N. Elias كيف أن الالتقاء في الشارع أو في الطريق يؤسس إلى روابط اجتماعية، ويدخل الأفراد في شبكة من الارتباطات (Elias, 1991, P.P. 49-50).

وفي الجلوس على الرصيف يتم ترقب المارة، فمن خلال الموقع الذي يتخذه الأفراد يتم تتبع الأخبار والأحداث، وفرصة للتفاعل الاجتماعي.

5. خاتمة:

لقد وقفت هذه الدراسة وركزت على الرصيف ودلالاته الاجتماعية، وقد تبين أنه فضاء عمومي ومجال هام في تشكيل المدينة، فكان من الضروري أن يهندس بطريقة يسهل وظائفه، وأن يزود بكل ما يلزم من عناصر ومكونات وتأثير حضري كالإنارة والمساحات خضراء والمقاعد...، ويحترم فيه معايير هندسته لذوي الاحتياجات الخاصة.

وبالإضافة إلى الوظائف الاستعمالية للرصيف من الضروري الاهتمام بصورته الجمالية التي لا تتناقض مع تصورات المجتمع وصورته الذهنية.

فكل ما يحمله الرصيف من معاني ودلالات سواء في تموضع أشيائه واستخدامات ألوانه توحى بأن هذا الفضاء يتكلم ويترجم تطلعات أفراد المجتمع، فهو ليس فضاء جامدا، بل يرمز لتاريخ وتقاليد وعادات وهوية المجتمع.

لقد أدت عملية الانتماء إلى الفضاء إلى الاحتفاظ بالتكوين الحضري الموروث، ما جعل مفهوم الرصيف يبرز في إطار العملية التاريخية التي ساهمت في إنشائه، وصارت لا تعدو حقيقة تراكمية في المكان والزمان، ويمكن استقراء تاريخه من مجموعة التراكمات التاريخية، وأن التعرف عليه يتم من خلال الشواهد العمرانية، وبالتالي فضاء الرصيف هو نتاج مراحل متعددة من تاريخه مع الاحتفاظ بالبنية الأولية، فما الرصيف إلا نتاج تغير مستمر للحياة به.

ومنه، يظهر مدى غنى مفهوم الرصيف وتعقد دلالاته واستعمالاته. إذن أصبح لمفهوم الرصيف مدلولاته الحضرية، ويتم توظيفه حسب حاجات السكان وتطلعاتهم حتى نفى الجانب العمومي في محاولة تملكه.

وتبعا للتفاصيل التي تطرقنا إليها نستنتج أن الرصيف بدأ يفقد في مجتمعاتنا خصوصيته كفضاء عمومي ووظيفته واستعمالاته كمجال عام وملك للجميع ليصبح مهيمن من طرف التجار أو السكان في ظل تقاعس السلطات المعنية لرد اعتباره والحفاظ على استعماله للأغراض التي وجد من أجلها.

إنّ هذه النتائج التي توصلنا إليها تشكل بدورها آفاق لدراسات مستقبلية حول فضاء الرصيف، ويمكن أخيرا أن نطرح تساؤلات تكون مواضيع لبحوث مستقبلية، منها: ما هي الأسباب التي أدت إلى تهالك الأرصفة في المجتمع؟ هل السبب تقني هندسي، أو قانوني تشريعي، أو راجع لثقافة المجتمع؟ وغيرها من التساؤلات التي تشكل موضوعات للاستمرار في البحث والتفكير وتفتح آفاق أخرى لدراسات حول هذا الموضوع الهام.

6. قائمة المراجع:

- أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، ط1، عالم الكتب، القاهرة، 2008.
- الإدارة العامة للتنظيم والتخطيط العمراني، دليل تخطيط الطرق والمواصلات في المناطق الحضرية "دليل معايير ومقاييس لإعداد المخططات العمرانية"، ط1، رام الله - فلسطين، حزيران 2013.
- بطرس البستاني، محيط المحيط قاموس مطول اللغة العربية، المكتبة المركزية، بيروت، 1998.
- بلقاسم سلاطونية وحسان الجيلاني، منهجية العلوم الاجتماعية، دار الهدى للطباعة والنشر، الجزائر، 2004.
- بوظيفة هوو والأحسن حمزة، أسباب عدم استعمال الرصيف من طرف المشاة، مجلة الوقاية والارغونوميا، المجلد 5، العدد 1، جامعة الجزائر2، 2012.
- جبران مسعود، معجم الرائد، مجلد1، ط7، دار العلم للملايين، 1992.
- زينة غانم العبيدي ونكتل صالح حسين، صور إشغال حق فضاء الرصيف: دراسة مقارنة، مجلة الشرق الأوسط للدراسات القانونية والفقهية، المجلد 1، العدد 2، جوان 2021.

- سايدمان ستيفن، شوارع بيروت بين الذات والمواجهة مع الآخر، مجلة إضافات، العدد 5، 2009.
- الفران هاني، محددات التصميم البصري للفضاءات العمرانية العامة في المدينة العربية، مجلة العمران والتقنيات الحضرية، العدد 2، مخبر التقنيات العمرانية والمحيط، جامعة المسيلة - الجزائر، 2010.
- وزارة الشؤون البلدية والقروية، دليل تصميم الأرصفة والجزر بالطرق و الشوارع، ط1، المملكة العربية السعودية، 2005.
- الهيئة العامة للطرق والكباري، دليل التصميم الهندسي للطرق، مصر، 2008.
- وسام حسن هاشم، المجتمع المحلي وعلاقته بتكيف الفضاءات الداخلية للمساكن التقليدية (مضايف الاوار العراقية نموذجاً)، مجلة دراسات: العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 46، العدد 2، جامعة الأردن، 2019.
- BONTE P.- IZARD M., Dictionnaire de l'ethnologie et de l'anthropologie, Paris: Puf, 1991.
- CASTELS M., La question urbaine, Paris: Ed François Maspero, 1981.
- DOVIER APPRILL É.- GERVAIS LAMBONY P., Vies citadines, Paris: Belin, 2007.
- DUMEZ H., Qu'est-ce qu'un concept? Le Libellio d'AEGIS, Vol. 7, n°1 Supplément, Printemps 2011, PP 67-79, <http://crg.polytechnique.fr/v2/aegis.html#libellio>
- ELIAS N., La société des individus, Traduit de l'allemand par Jeanne Étoré, Paris: Fayard, 1991.
- HADJIDJ D., Urbanification et appropriation de l'espace Le cas de la ville d'ORAN, Insaniyat, N° 16, Oran, CRASC, Janvier 2006.
- LEFEBVRE H., La production de l'espace. (4^e Ed). Paris: Anthropos, 2000.
- MOLES A.- ROHMER E., Psychosociologie de l'espace, Paris: L'Harmattan, 1998.
- NACHI M., Les espaces publics au Maghreb. Eléments pour la construction d'une problématique sociohistorique contextualisée à partir du cas tunisien», In : REMAOUN H.- HENIA A., Les espaces publics au maghreb, Oran, CRASC, 2013.
- RAULIN A., Anthropologie urbaine, Paris: Ed Armand colin, 2001.
- TORTEL, L., Une autre lecture de l'espace public: Les apports de la phycologie de l'espace, Lyon: Editions du CERTU, 1999.

- مصادر الانترنت

- أرصفة-المدن/ <https://qafilah.com/ar/> ذاكرة وهوية!، من الموقع الالكتروني:
- أرصفة-المدن/ <https://qafilah.com/ar/> الرصيف/ <https://qafilah.com/ar/> حمزة فضل شبلاق، الرصيف عمران وحياة.. و حلم، مجلة القافلة، من الموقع الالكتروني:
- الأرصفة مرايا المدن، من الموقع الالكتروني:
- الأرصفة مرايا المدن: تحقيقات-ومطولات/الأرصفة-مرايا-المدن/137001/ <https://www.independentarabia.com/node/137001>